

وسُحب عنيّ حق اللجوء السياسيّ وأمرت بمغادرة البلاد فعرضت الحكومة السويدية قبولها لي لاجئاً سياسياً وهيأت لي أسباب الرحيل فتركت إيران في ٢٤ من نيسان ١٩٨٨ وإخترت مدينة كاترينهولم مسكناً بناءً على نصيحة الإخوان الكرد اللاجئيين الساكنين فيها. ومن بين الكثيرين لقيت في الشاعر والأديب الكردي (مؤيد طيب) أنيساً وصديقاً دائم الزيارة.

ذات يوم ولم يمرّ عليّ غير بضعة عشر شهراً. حمل اليّ السيد مؤيد هذا النبأ الغريب: قال إن شخصاً يعرف باسم (ملاً بختيار) يزعم أنّ في حوزته مخطوطاً لي وعليه إسمي، وإنه إستؤمن عليّ إعادته اليّ.

وزاد (مؤيد) عند سؤالي فقال: إن ملا بختيار هذا قدم حديثاً من إيران وحصل علي حق اللجوء السياسيّ. وإنّه كان مطارداً من قبل الإتحاد الوطني الكردستاني وهو من أقطابه وقد خرج عليه حيناً من الزمن. إذ ذاك فقط أدركت من يقصده ملا بختيار. وعدت بذاكرتي الي واقعة معينة كان لي فيها دور قبل تركي إيران ببضعة أشهر.

كان لي كما أذكر موعداً مع الدكتور فؤاد معصوم عضو المكتب السياسي للإتحاد الوطني في أحد فنادق العاصمة. فإنتهزت الفرصة قبلها لاستبضع حاجات من سوق في طهران عرف بـ«كوچه عرب». إذ كان يشغل معظم دكاكينه ومحلاته التجارية اللاجئون والمبعدون العراقيون الذين طردتهم بغداد بحجّة أصولهم الإيرانية. فقصدت مقهى السيد سامي باقر المعروف بـ(سامي الفيلبي) وهو من أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الأقدمين. ووجدت بيده عريضةً معنونة الي سكرتير الإتحاد الوطني الكردستاني العام يجمع عليها توقيع. وتدور حول المطالبة بإخلاء سبيل (ملاً بختيار) المعتقل والمحكوم بالإعدام. وأشار سامي الي امرأة جالسة في ركن قائلاً: هذه زوجته جاءت تستجير خشيةً على حياتها فرأينا أن نكتب هذه المذكرة لتقدمها الي الإتحاد الوطني قبل تنفيذ حكم الموت به.

لم أكن أعرف ملا بختيار لبالصورة ولا بالشهرة ولا بالأسباب التي دعت الي إعتقاله، وخطرت ببالي فكرةً فقلت لسامي دعك من هذه العريضة الآن فأنا على موعد مع الدكتور فؤاد معصوم فتعال معي لنرى ماأمر هذا المعتقل وسأسعى بدوري لأكون واسطة خير.

لأذكر تفاصيل الأسباب التي علل بها الدكتور معصوم الإجراءات المتخذة بحق ملا
بختيار هذا ولا يخطر ببالي ما ذكر حول تمرده وإعتقاله وهروبه وما الى ذلك إلا أنه أكد
لنا بالأنيّة هناك للإتحاد ولا لسكرتيره في تنفيذ أي حكم يُنهى حياة المعتقل. ووعده
أن ينقل رجائي الخاص بالإفراج عنه الى (مام جلال). وطمأن صاحبي لطمأنة ذويه بأنه
سيوفر له أسباب الراحة ويسهل زيارة ذويه له.

هذا كل ما علق بذهني حول حامل المخطوطة. إلا أنني بقيت في حيرةٍ لافكرة لي أبداً
عمّا جاءني به.

وعقب السيد مؤيد بقوله: انه سيأتي بنفسه ليسلم لك المخطوط.

وجاء السيد بختيار وقدم نفسه باسمه الحقيقي (حكمت محمد كريم) ليضع بيدي
ترجمة تقرير عصابة الأمم حول النزاع على الحدود بمحفظتيه الأصليتين، كاملاً غير
منقوص ويخطّ يدي فعلاً. ذلك الذي إفتقدته طوال ثلاثة عشر عاماً وأسقطته من
ذاكرتي!!

بطبيعة الحال كان أولّ سؤالي كيف وقع بيده، ومن هو الذي إئتمنه على إعادته اليّ
ومن كان يحتفظ به طوال هذه الفترة؟ قال: «إنه وبعد أن أخلى الإتحاد الوطني سبيله.
حلّ في مهاباد ضيفاً على أسرة (قاسملو) وبالضبط في دار شقيق المغدور السيد
عبدالرحمن قاسملو وسماه «آقاي مهندس». وإن (آقاي مهندس) هذا سألّه وهو في
طريقه الى السويد عمّا إذا كان يعرف (جرجيس فتح الله) الذي يسكن في السويد.
فأجابته بالإيجاب. فطلب منه إيصال هذه المخطوطة اليّ وكان قد وجدها بين مخلفات
شقيقه (عبدالرحمن) وعليها إسمي وتوقيع.

مسألة كيفية حيازة (عبدالرحمن قاسملو) ترجمتي، ستبقى سرّاً مدفوناً الى الأبد
فهو ليس بين الأحياء وأنا شخصياً لأستطيع أن أعزو لنفسي نزولي طوعاً عن
مخطوط لأملك منه نسخة أخرى لإنسان كعبدالرحمن لاتربطني به معرفة وثيقة تسمو
الى إستئمانه على مخطوطة معدة للنشر خلال لقاءٍ عرّضني لي به في (ديلمان) وهي
المرّة الأخيرة التي جمعتنا فيها الظروف. وكلّ ما علق بذهني من تلك المواجهة، إن
المخطوط كان فوق مكتبي عندما تركتُ الغرفة مع المرحوم صابر البارزاني. وإن
عبدالرحمن قاسملو كان عليه أن يمرّ بغرفتي بعد لقائه بالبارزاني ليلتقط حقيبة سفره.



المؤلف مع السيد حكمت محمد كريم

في غمرة الفرح بعودة "الإبن الضال". إقترح الحاضرون التقاط صورة لي ولحاميل المخطوط السيد حكمت محمد كريم. وهي الصورة التي تجدها هنا وقد وعدته في حينه أن تظهر مع التقرير عند نشره وهو أقل الممكن من الجزاء إعترافاً بالجميل.

في الفترة التي أعقبت وصول المخطوط. كانت أزمة الكويت تجمع حولها وتحتها وفوقها غيوم صدام مسلح. وإنصرف إهتمامي الى تعقيب مسرى الأحداث المتسارعة، لتحملني بالتالي على التفكير في كتاب حول المغامرة السياسية الخطيرة وإعداد العدة لذلك. وإنعكست الهزيمة العسكرية التي حلت بنظام بغداد، على كردستان العراق بالشكل الذي بدا للعالم بكل ملبساته وخياراته وقد أشغلني الكتاب الذي ألفته في حينه عن التفكير فيما عداه.

وكنت قد نوّهت في صدر حديثي للقاريء بالغرض الذي حملني على إنتهاز فرصة بوادر الإنهيار في بيان آذار ١٩٧٠ لأتقدم للرأي العام العربي والكردى بوثيقة هامة في تاريخ الكرد السياسي إصطلحت الأغراض السياسية والتعصّب القومي على إبقائها

بعيداً عن المتناول الشعبي. إذ لم يكن ينتظر هذا من حكومات وأقلام دأبت على إنكار فضل الكرد العراقيين في بناء الدولة العراقية الحديثة. وإن بيان آذار ١٩٧٠ لم يكن في الواقع إلاّ صدى بعيداً للآراء التي توصلت إليها تلك اللجنة الدولية بخصوص مستقبل جنوب كردستان السياسي في الدولة الحديثة التي أقامها البريطانيون وضرورة كتمان الدور الكردي التاريخي في تشكيل تلك الدولة، كانت تشتدّ بالانتفاضات المسلّحة المتعاقبة وهي بجوهرها المطالبة بتحقيق المقترحات التي تبنتها اللجنة الدولية وقدمتها الى عصبة الأمم.

بعد العام ١٩٩١ وعلى ضوء السيطرة الكرديّة الحقيقية على الجزء الأكبر من جنوب كردستان إدارياً، صرت أفكر جدياً في نشر محتويات المخطوطة. ورأيت أن المقدمة التي كتبتها للتقرير ليست مناسبة ولا تفي بالمرام وإن من الضروري أن تتقدمه دراسة تاريخية مفصّلة، وهكذا ولدت فكرة هذا الكتاب. ليغدو التقرير فرعاً والكتاب أصلاً. وكان الأمر يختلف عن الوضع في العام ١٩٧٣ حيث كنت أفتقر الى المراجع والمضام اللازمة لمشروع كهذا. والآن وخلال تسع سنوات من البحث الجاد بين المراجع والمصادر والوثائق أراني جمعت كلّ ما أصيبو اليه من العدّة الى جانب تمتّعي بكل الحرية التي يتمناها الكاتب لنشر آراء مستّجدة.

ثم وجدت من المناسب أن ألحق بالكتاب كل ما يمكنني الوقوف عليه من مذكرات الأشخاص المشاركين في تلك اللجنة أو من ساهم في نشاطها موقعياً. وإهتديت الى أربعة. أولها لنائب رئيس مجلس العصبة الذي شارك في تأليف اللجنة السرف. ب والترز. ثم كان هناك الفصلان اللذان كتبهما الميجر إدموندز في كتابه (كرد وترك وعرب) الذي نشره في العام ١٩٥٧ وقمتُ بترجمته ونشره في العام ١٩٧٠ وقد عمل في اللجنة بوظيفة ضابط إرتباط عن الطرف البريطاني. كان هناك أيضاً ماجاء عنها في ذكريات السيد عبدالعزيز القصاب متصرف (محافظ) الموصل في حينه. وقد تعذّر عليّ الحصول على كتابه. فأنجدني به الصديق الباحث المعروف الأستاذ (نجدت فتحي صفوت) نزيل لندن حالياً. ثم إهتديت الى مذكرات السيد آف. دي فيرسن السويدي الذي خصص لها جزءاً كبيراً من كتابه المطبوع في السويد (العام ١٩٤٢). وهو حافلٌ بالصور التاريخية النادرة التي إلتقطها بالمناسبة. أسعفني بترجمته الأديب والشاعر

"مؤيد طيب" وله مني الشكر.

إستوقفتني عبارة إستطراذية وردت في مذكرات (فیرسن) تشير الى أنه قرأ مادونه العضو الثاني في اللجنة وهو البلجيكى العقيد (پاولس) وكانت عبارة غامضة لاتمكنك من القطع برأى حول ما إذا كانت مذكرات پاولس مطبوعة أم أن فیرسن إستعارها منه وهي مخطوطة. ولم ينعني هذا الغموض من البحث الدؤوب عنها. وقادني البحث الى المكتبة الوطنية في باريس، ثم الى مكتبة ستراسبورغ العامة الشهيرة. وأخيراً لجأت الى مكتبات الدولة الرسمية في بروكسل. فلم أجد أثراً للمذكرات المعزوة للعقيد پاولس. وبعدها فكرت في أن تكون مجرد مخطوطة مودعة في دائرة وثائق عصابة الأمم في جنيف وإمتد بحشي الى هناك دون جدوى. وبدا لي أن أقنع نفسي بأن مذكرات العقيد پاولس لم تطبع وأوقفت البحث.

وإنتظرتني بل قل إنتظرت هذا التقرير مفاجأة صغيرة أخرى. كان ذلك بعد أن بسط الحلفاء في حرب الكويت حمايتهم على كردستان العراقية من غائلة طيران حكومة بغداد الهجومى. ومن عادتي أن لأكتم ما أنا في سبيل تأليفه سرراً لأخرج به الى القراء كما يخرج الحاوي أرنياً من قبعته. ثم إن مقتضيات تعقيب وتأمين المراجع والوثائق التي أحتاجها كانت ترغمني على الإفضاء بالأمر الى أوسع دائرة من الأصدقاء المتعاونين. لذلك لم يدركني عجب حين تلقيت ذات يوم مكالمة تلفونية من مدينة (جنيف). وقدم المتكلم نفسه اليّ بأسم (كيللر) قائلاً إنه حصل على عنواني ورقم تلفوني من معارف في لندن يعملون للقضية الكردية في العراق وإنه مكلف بالعمل مع فريق منهم وقد علم بقرب إصداري كتاباً عن النزاع حول ولاية الموصل وهو والفريق الذي يعمل لهم كخبير ومروّج (لوبي) يرغبون في التعاون معي.

كنتُ على بعض علمٍ بأنّ فئات من الرؤساء القبائليين الكرد الذين كانوا إنحازوا الى جانب الحكومة في مواجهة قوات الأنصار (الپشمركة) وشكلوا ماعرف في حينه "بالأفواج الخفيفة" وجدوا أنفسهم بعد أن لحقت الهزيمة بالجيش العراقي وفقدوا وسيلة إرتزاقهم أن يدخلوا المعترك السياسي في كردستان كواحد من مراكز القوى هناك بقيامهم بتأليف عصابة أطلقت على نفسها إسم "حزب المحافظين" وهو بزعامة زعيم قبائلي يدعى (عمر سورچي) وأنّ هؤلاء صاروا يطوفون في العواصم الأوربية بقصد

إستجداء نوع من شرعية التعامل معهم كقوة سياسية الى جانب أو على غرار تعامل الحزبين اللذين سيطرا على كردستان بعد إنحلال السلطة المركزية، وباعتبارهم القوة الثالثة في الميدان. ودُكرَ لي أيضاً أنهم كانوا يستخدمون لهذا الغرض بعض الأجانب المختصين لترويج دعواهم.

ورجحتُ أن يكون (كيللر) هذا أحد هؤلاء، وصدَّقَ حدسي.

وأذكر أنني قلت له: لأدري ماذا تقصد بولاية الموصل ولابنوع التعاون الذي ترجوه مني. كما أنك لا تدري ما أهداف اليه من تأليفي. لكنني أريد إيضاح هذه النقطة. إن تعبير "ولاية الموصل" وهو مصطلح إداري عثماني بحث لم يعد له مكان في التداول السياسي الحديث. ونحن نستخدم الآن تعبير "جنوب كردستان" أو "كردستان العراقية" وإنَّ ما أقوم به هو دراسة تاريخية سياسية بحثة لاعلاقة لها بما يحصل الآن في كردستان وباعتبارها جزءاً مهماً من تاريخ العراق الحديث، وكل شيء عداه يخرج عن دائرة إهتمامي.

هذا ماقلته له في حينه لكنه عاد يتصل بي ثانيةً وبعث بالبريد بأوراق ومذكرات ونصوص موجهة إلى عددٍ من الدوائر والمقامات السياسية في أوروبا وأمريكا، من إنشائه وبعضها بتوقيع (عمر السورجي) وآخرين، وبعضها بعنوان حزب المحافظين في كردستان فأهمتُ الردّ. ولم يُعدِ إتصاله بي.

بعد فترة وجيزة. أبلغني صديق كنت قد كلفته بإستنساخ بعض الوثائق من مركز عصابة الأمم بهذه الحكاية. قال:

« في أحد ابهاء بناية العصابة لفتَ نظري زمرة من الأكراد بزيهم الوطني في إحدى القاعات، فجلست بينهم وكان المتكلم شخصاً أوروبياً وهو يتحدث عن أمور تخصّ كردستان العراق. تقربَ مني أحدهم وسألني عن هويتي فقلت اني عراقي من كردستان ومقيم في السويد. فإقترح عليّ أن أقابلهم في فندقٍ نزلوه ليبحثوا معي في إقتراح هامٍ. فدفعني الفضول وحب الإستطلاع الى مقابلتهم في الموعد المضروب ووجدت خمسة منهم. قالوا لي انهم أصحاب قضية مهمة جداً إلا أنهم واقعون الآن ضحية شخصٍ جشعٍ محتال وهو الشخص الذي كان يتحدث في الإجتماع وإسمه (كيللر) «وهو بيتزنا ونحن نريد التخلص منه، فهل لك أن تتولى عنه قضيتنا وأنت ابن بلدنا. »

قال صاحبي: أخذتني الدهشة العظيمة. ونازعتني العجب بين درجة حمق هؤلاء المغفلين وبين سداجتهم في وضع ثقتهم بشخص مثلي لاسابق معرفة لهم به ولا هو بهم. وأسرعت لأبين لهم أنني لست مقيماً هنا وأن محل سكناي السويد. فلم يثنهم ذلك عن طلبهم وتعهدوا بالإنفاق عليّ وإجراء مكافأة مالية لي كبيرة فاعتذرتُ وأسرعت بترك هذه الحفنة من الجهلة دون أن أهتم بمعرفة أهدافهم وماذا يريدون تحقيقه^(٢).
هذا ما رواه لي السيد [د. أ. ز] بالضبط.

وبعد فترة من الزمن قرأت في إحدى الصحف السويسرية إعلاناً صادراً عن مكتب محفوظات عصبة الأمم ومقیمیة هيئة الأمم المتحدة في جنيف تشير فيه الى أن المدعو (كيللر) هذا قد مُنِع من دخول هاتين المؤسستين نافياً كل علاقة لهاتين المؤسستين به بأيّ وجه من الوجوه. ويظهر أن "حزب المحافظين" هذا نفذت أمواله أو لربّما عجز أصحابه عن تأمين (لوبي) جديد يرسم لهم أهدافاً أكثر جدوى وواقعية من "ولاية الموصل". فتفرقوا وغابت آثارهم.

وبخصوص النقص والتمام. لأراني قادراً وبأيّ درجة من الثقة على الإدعاء بالإحاطة والشمول فيما أضعه الآن بيد القراء. وهو بالأصل كما قلتُ لم يكن تاريخاً سياسياً وإنما مجرد ترجمة لتقرير هام جداً أهملته الحكومات العراقية عمداً وأغفله المؤرخون عمداً أو تقاعساً. والفترة التي عالجتها كما بيّنتُ هي فترة «الحداثة» من حياة الوعي القومي الكردي حددتها بربع قرن للتبسيط ليس إلاً وليكون لكتابي إطاراً واضح لصورة ذات معالم بيّنة. فترة "الحداثة" هذه يشاء مسرى التاريخ العام أن تمرّ بأربع مراحل مؤثرة فاعلة. هي الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٧. والإنقلاب العثماني والعودة الى الدستور ١٩٠٨. والحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨. وفترة قيام التغيير في خريطة العالم ١٩١٩-١٩٢٥ بولادة عصبة الأمم أوّل هيئة دولية.

ولكل مرحلة من هذه المراحل الأربع أثرها الكبير في تطوير وتنامي الوعي القومي الكردي أو في ظهور "القضية الكردية" مشكّلةً من المشاكل القومية في العالم. وأغفلت عامداً الإشارة في الحاشية الى عدد كبير من المراجع التي اعتمدها.

٢- سألت صديقنا الأستاذ محسن دزّبي عما إذا كان يعرف شيئاً عن أهداف هذه المجموعة. فأفادني أن رغبتهم في إثبات أنفسهم كقوة سياسية ثالثة في الميدان كانت تدفعهم الى مراجعة تركيا ثم سورية لمساعدتهم (كذا!) في ضمّ ولاية الموصل الى أحدهما. فلم يجدوا منهما أيّ تجاوبٍ طبعاً.

مقتصراً على تلك التي قد تشير في القاريء الكثير الشكوك أو المنقّب المرتاب والدؤوب والمعقّب الزلاّت والسقطات، للتأكد مما هو حقيقة أو ما هو من وحي خيال. فالأصل الثقة. ولا أجد من بين قرآني من سيجشم عناء السفر الى دار الوثائق البريطانية بلندن مثلاً أو صرف الوقت الثمين وإنفاق المال الجزيل بحثاً عن صحة مصادري بقصد تخطئتي أو إظهار زيف لي في عرض الوقائع. واني لأنصح أولئك الذين يساورهم الشك في إستشهاداتي بدلاً من تكبد عناء التثبت من صحة مراجعي، أن يلقوا بكتابي هذا من النافذة. وأمّا عن آرائني التي ضمنتها الكتاب وهي مما يمكن وصفه بالتحدي والجرأة على قلتها فلي من سعة صدر القاريء الثقة والأمل في تقويمها وموازنتها بعيداً عن العاطفة وعن ماجرى منها مجرى مسلمات لا تقبل طعناً. ثمّ إنني لأدعيّ قطّ بالعصمة ولا بأني وضعت بين يدي القاريء بحثاً شاملاً جامعاً مانعاً. فكل ما أرجوه له من القراء هو أن يعدوه مجرد محاولة أوليّة لدراسة هذه الحقة الغامضة من تاريخ الكرد وكردستان أو تمهيداً لدراسة أوسع بكثير.

جرجيس فتح الله

صلاح الدين ٢٠٠٢/١/١

